

لقاء مع رئيس وزراء المغرب: مقارنات مع لبنان

تريز حنا عون

رئيس المنظمة أن ما يحدث يتخطى مسألة وضع تقارير عن انتهاكات حقوق الإنسان، لأن المهنة أطاحت النيات الصادقة، وكانت تلك الرؤية في محلها، كما ثبت في ما بعد.

اما الرئيس اليوسفي، فإن واقعه مختلف تماماً، وكانت رؤيته التي تبنت بعد نحو عشرين سنة ان الانتقال من حال الانتهاكات الى حال توطيد حقوق الانسان وترسيخها ممكنة بالمشاركة في بلد حر، مستقل، سيد، يعيش السلم الاهلي، وبعد نضال ونفي ومشقات وانتخابات - على رغم ما شابهها من ضغوطات بحسب تقارير الجمعيات المختصة - استدعاء العامل الحفيظ الملك الحسن الثاني، وسلّمه رئاسة الوزراء، ليعلن في برنامجه الحكومي أن الدفاع عن حقوق الانسان، كما هو متعارف عليها دولياً، يشكل أحد التوجهات الرئيسية للحكومة، مجسداً بإنشاء وزارة لحقوق الانسان في سبيل تفعيل تلك الافكار ونشرها في دور التعليم ومدارس الشرطة ومعهد القضاء وبين رجال السلطة.

رجلاً حقوق الانسان، أحدهما التقيب ملاط، كان يجب أن يكون رئيساً للجمهورية كما قال الرئيس اليوسفي. اما الرئيس اليوسفي فهو من أجل الرؤساء واسماهم اليوم ولعله لقمان الصرب كما يقول الرئيس ملاط. وتعبر الذكريات بين بيروت والرباط، ليشدد الرئيس اليوسفي على أهمية بيروت في رعاية حقوق الانسان، وقد افتقدتها منذ اندلاع الحرب، وهو يمتن أن تعود عاصمة تلك الحقوق، فكما يتطلع الى مغرب حقوق الانسان، كذلك يعتبر أن استعادة بيروت دورها ضماناً كبرى لنشر حقوق الانسان في المشرق. كما يركّز على أهمية دور نقابات المحامين في تحديث التشريعات لاسيما حقوق المرأة، ويرى أنه لا بد من إنشاء لجنة مختصة بتلك المسألة (ولا عجب إن علمنا أن المغرب قام بخطوات جريئة للاحية إعطاء الأم حق الولاية على الطفل). الرئيس اليوسفي طلب اليانا نقل تجارته للرئيس ملاط، كان لقائه مؤثراً لهذه الناحية، فبعد خمس وعشرين سنة لم يجتمع الرجلان، ولكن على لسانهما كلام واحد كما في بيروت كذلك في الرباط.

وقال الرئيس الزاهد وجدي ملاط بعد أن حملنا اليه تحية الوداد من الرئيس اليوسفي أنه يحس بقشعريرة الفبة كلما ذكر العهد الذي جمع بينه وبين عبد الرحمن اليوسفي في مطلع السبعينات، يوم كان اليوسفي ذلك المناضل الشامخ في معارضته، الساعي والداعي الى احترام حقوق الانسان في كل بلد عربي، والمتطلع الى وجوب ترسيخ مدينة عربية معنية باقامة مجتمعات تتلاقى فيها الكفاية والحريّة وتتساوون.

ولا يزال يذكر الكثيرون ذلك الاجتماع الذي عقد في فندق كارتون في بيروت، والذي دعا اليه الاثنان غرة عام ١٩٧٥، وشارك فيه جلة اهل الرأي، وتم فيه انشاء "المنظمة العربية لحقوق الانسان في لبنان"، تلبية للرغبة التي شاءها اتحاد المحامين العرب، وكان أوكل آنذاك الى عبد الرحمن اليوسفي ووجدي الملاط تاسيسهما في لبنان، وسرعان ما قضت عليهما الاعاصير والاحداث المفجعة في وطن الارز.

في الثالث من آب الحالي قام في المغرب يوم وطني لحقوق الانسان وفيه أعلن عن خطوات جديدة في سبيل نشر تلك الافكار والتربية عليها. والجدير بالاشارة أن عوامل عدة تجعل من المغرب مضامياً لبيروت في هذا المجال اهمها: التنوع في اتجاهات الفكر العربي الحديث واحتضان المغرب هذا الفكر واعطاه جمعيات حقوق الانسان الدور في تطوير الاداء الاداري والسياسي وحتى الاشتراكي، لاسيما من خلال تقديم تلك الجمعيات الملفات المختصة بالانتهاكات والاصلاحيات لرئيس الوزراء.

العائد من المغرب يترك جزءاً من ذاته تحت سماء تشهد على أصالة شعب يمتاز بالقيم، تلك القيم التي تحترم الانسان، وترعى حقوقه. وانا كان بعض التشدد يواجبه الزائر فهو تشدد سلمي، قد يساهم في نشر مبادئ الحق في التمايز لا في التمييز، ويصلح في كل الاصعدة منطقاً ليتزوج المغرب، مغرب حقوق الانسان. إنه البلد الطموح الذي يتطلع اليه اليوم العالم العربي في هذه الفترة العصية، ويدهش للسلم والنمضة اللذين يكتنفان ربوعه ويبركهما، في بقعة بلغ العنف في جوارها حداً يدمي قلوب المخلصين، وما ان الجميع يضرعون الى أن تنتقل الحمائية المغربية التي ترعى الحوار الحضاري المهمين في أرجائه، وأن تعم جميع المجتمعات العربية.

وتبقى الامنية ان يتاح الدخول الى المغرب دون تأشيرة مسبقة، ليزداد التلاقي بين شعبين شقيقتين في رحاب لبنان الاخضر او في جنان المغرب الخلاب.

اهلاً وسهلاً بكم في بلدكم الثاني. عبارة ترد منذ لحظة الدخول الى مطار "محمد الخامس" في الدار البيضاء وفور ما يتبين أن الزائرين هم من لبنان. وقد يتفاجأ السياح القادمون للمرة الاولى الى المغرب بهذه المعاطفة الخاصة للبنانيين، لكنهم سرعان ما يختبرون عمق المحبة ويلمسون مدى السماحة في هذا البلد العربي.

مغرب الحضارة والفن هو ايضا مغرب - الانسان. فأول ما يتبادر الى الذهن عند ذكر المغرب الحديث، سحر مراكش وفاس وروعة الشاطئ المحيط والاندهال في رحاب جامع الحسن الثاني في الدار البيضاء. لكن أجمل الأجل هو المغرب المضيف، المغرب الانسان، وفي شخص كل مواطن فيه، ولاسيما في شخص رئيس وزراءه السيد عبد الرحمن اليوسفي.

مغرب المفاجآت. مملكة تطرب ان تزور مدنها التاريخية، لتكتشف وأنت تسوح في رحابها أن مسيرة الحضارة فيما لم تنقطع يوماً، وهي شاملة الحجر والبشر.

واللافت في زمن السياحة هو ذلك التمازج بين القديم والحديث وفيه انعكاس لصخب النمضة. فالمدن القديمة تجاور المدن الجديدة او تتداخل معها. الفن المعماري القديم يتوسط الفن المعماري الحديث، ويتنافسان بالذوق والشفافية. الاحياء الفقيرة تواجه تلك الاثني وتتواصل الفقر والفن في مشاهد متوالية بين المدن، وسط ورش اعمال ومشاريع جديدة في مجال المواصلات والمياه والكهرباء كما قيل لنا.

شواطئ الدار البيضاء والرباط تعج بالسيارات الجديدة والفخمة والرواد الشباب، اما ساحات وسط المدينة فتحتظ حتى الاحتقان بكل الطبقات الاجتماعية، فيما يرتفع شامخاً وسط مدير المحيط جامع الحسن الثاني، وهو خلاصة الفن المغربي القديم والحديث.

مراكش وفاس والطرق المؤدية اليهما، تفاجئ السائح بوجود معدمين يعيشون مما يتيسر من كرم الناس، وتبهره بسلاسة العمل الحر في كافة المجالات: نحاس وفضة، ومصانع جلود وخياطة وغيرها من الاسواق المألّى بكنوز العمل اليدوي وإن احيانا على حساب الهواء والشمس كما في فاس. فاس القديمة، ما إن تطأها حتى تدخل التاريخ وقربك دابةً على ظهرها جلود او نحاس، فتتنافس معها على سلوك طريق ضيقة لا تسعكها. ثم لا تلبث ان تدخل حانوتاً صغيراً لتفسح الطريق للقوافل النشيطة. لكنك إن أكملت الطريق لا تلبث ان تتغير المشاهد امام روائع الجوامع التاريخية.

مراكش التاريخية، يضاهي فيها جمال قصر المؤتمرات الذي بيني حديثاً روائع المدينة القديمة وقصورها. الباحة المدعوة مساحة الفنا كانت شاهدة للموت في التاريخ، وهي اليوم ساحة احتفالات على قدر ما يجتمع فيها مراكشيون وسياح وعربات خيل، واصوات من كل الفئات.

اما الرباط، حاضنة التاريخ منذ الرومانيين حتى اليوم، فترزهو بآثار الماضي وأبهة الحاضر. المرابطون والقصبية، والجامع الذي دمره الزلزال، وضريح محمد الخامس، والمتحف حيث ترك جودونا الفينيقيون آثار العلاقات الطيبة، كلها تتحلق حول القصر الملكي، كما الرعاية حول الملك الذي تحب. "الله، الوطن، الملك" شعار يعيشه المغاربة بكل فخر، وعلى مختلف انتماءاتهم الحزبية والعقدية. ثالوث مقيم بقوة المحبة والمواطنة الصالحة.

ومن لبنان الى الرباط تحية صداقة أتاحت تحديد موعد مع رئيس الوزراء في أربع وعشرين ساعة في حين أن الحد الاثني للحصول على موعد لا ينقص عن شهر.

من التقيب الرئيس وجدي ملاط الى رئيس الوزراء عبد الرحمن اليوسفي، تحية صداقة تعود الى أكثر من خمس وعشرين سنة، ألفت المسافات وحولت مساحة المقابلة جنباً من وفاء. اثنان جمعهما في لبنان وفي زمن السلم شاغل واحد، "الانسان في كرامته". أحدهما مغربي دعا الى إنشاء "المنظمة العربية لحقوق الانسان"، والثاني لبناني كان اول رئيس لها. محاميان، أحدهما كان عميداً وأميناً عاماً موجهاً لمكتب المحامين العرب والثاني كان نقيب المحامين، أسس مع زملاهما المنظمة المذكورة وجمعا مركزها في بيروت، ووضعا فيها آمالاً كبرى، ثم اندلعت الحرب الأثمة، ووجد